

سورة الإسراء

﴿الآية: 1﴾

الدرس

1

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف معجزة الإسراء بالنبي ﷺ وأهم أحداثها الثابتة.
- 2- أن أدرك سنة الله في إرسال الرسل بالمعجزات الدالة على صدقهم.
- 3- أن أقوي إيماني باستحضار كمال قدرة الله تعالى، وبصدق نبوة سيدنا محمد ﷺ.

تمهيد

سورة الإسراء مكية إلا آيات منها، وقد روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال فيها وفي الكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" [صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن] أي: مما تعلمته وحفظته قديما.

وقد تحدثت الآية الأولى من هذه السورة عن معجزة الإسراء التي هي دليل باهر على قدرة الله عز وجل، وعلى التكريم الإلهي لنبينا محمد ﷺ.

فما هي معجزة الإسراء؟ وما دلالات هذه المعجزة الخالدة بنص القرآن؟

الآيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمُتَجِدِّاتِ إِلَى الْمُتَجِدِّاتِ
إِلَافًا إِلَى بَرْكُنَا مُوْجَةً، لِنُرِيَهُ، مَنَازِلَنَا إِنَّهُ، لَنُؤْتِي السَّمِيعَ الْبَصِيرَ﴾

[سورة الإسراء: 1]

الفهم

الشرح :

سُبْحَتِ : تنزيها لله من كل سوء.

أَسْرَى : سار في الليل.

بَلَرَكْنَا حَوْلَهُ : جعلنا حوله البركة.

استخلاص المضامين :

1- ما هي معجزة الإسراء؟

2- ما هي المعاني المضمنة في الآية الكريمة؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: التعريف بمعجزة الإسراء:

ذكر ابن عطية رحمه الله أن الحديث عن الإسراء وقع في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه. وذكر أبو بكر النقاش رحمه الله من رواية هذه المعجزة الخالدة عشرين صحابياً.

وقد روى جمهور الصحابة أن الإسراء كان بشخصه ﷺ، وأنه ركب البراق من مكة ووصل إلى بيت المقدس صلى فيه. وروى حذيفة وغيره أن رسول الله ﷺ لم ينزل عن البراق في بيت المقدس ولا دخله. قال حذيفة: ولو صلى فيه لكتبت عليكم الصلاة فيه، وأنه ركب البراق بمكة ولم ينزل عنه حتى انصرف إلى بيته، إلا في صعوده إلى السماء.

وقالت عائشة ومعاوية رضي الله عنهما: إنما أسري بنفس رسول الله ﷺ لا بشخصه، ولم يفارق شخصه مضجعه، وأنها كانت رؤياً رأى فيها الحقائق من ربه عز وجل، وجوزه الحسن

البصري وابن إسحاق. وركوب البراق على قول هؤلاء يكون من جملة ما رأى في النوم.

واحتج لقول عائشة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّعْيَا الَّتِي أَرَبْنَا إِلَّا لِنَفْسٍ﴾ [الإسراء: 60]، ويحتمل أن تكون الآية حجة للجمهور؛ لأنه يقال لرؤية العين رؤيا أيضا.

واحتج أيضا لقول عائشة رضي الله عنها بأن في بعض الأحاديث: "فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام"، لكن هذا أيضا يحتمل أن يريد به أنه عاد من الإسراء إلى النوم في المسجد الحرام.

واعترض قول عائشة رضي الله عنها بأنها كانت صغيرة، لم تشاهد ولا حدثت عن النبي ﷺ. وأما معاوية فكان كافرا في ذلك الوقت، غير مشاهد للحال صغيرا، ولم يحدث عن النبي ﷺ.

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنه لو كانت منامة ما أمكن قريشا التشنيع، ولا فضل أبو بكر بالتصديق، ولا قالت له أم هاني: "لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك". إلى غير هذا من الدلائل.

واختلف في زمن الإسراء على أقوال كثيرة نقل منها ابن عطية رحمه الله عن مقاتل وقتادة أنه قبل الهجرة بعام. وقيل: بعام ونصف، رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها، وكان ذلك في رجب. وقيل: في ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول، والنبي ﷺ ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما. والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة، وقبل بيعة العقبة.

ثانيا: دلالات الآية على معجزة الإسراء:

تضمنت الآية الأولى من سورة الإسراء الحديث عن هذه المعجزة التي أكرم الله تعالى بها نبيه محمدا ﷺ. وقد افتتحت السورة بتنزيهه الله جل وعلا فقال تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾.

فقوله: ﴿سُبْحَانَ﴾ مصدر غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، وسبح إنما معناه قال: (سبحان الله) فلم يستعمل سبح إلا إشارة إلى سبحان، ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين، وهو معرف بالعلمية، وإضافته لا تزيده تعريفا، هذا كله مذهب سيبويه فيه. والعامل فيه على هذا المذهب الفعل الذي هو من معناه لا من لفظه، مثل قعد القرفصاء، واشتمل الصماء، فالتقدير عنده: أنزه الله تنزيها فوق "سبحان" مكان قولك: تنزيها.

وقيل: إن ﴿سُبْحَانَ﴾ منصوب على النداء، كأنه قال: (يا سبحان)، وهذا ضعيف.

ومعنى ﴿سُبْحَانَ النَّجِّ﴾.. تنزيها لله. وروى طلحة بن عبيد الله الفياض أنه قال للنبي ﷺ: "ما معنى سبحان الله؟ فقال: تنزيه الله من كل سوء".

وقوله: ﴿أَسْرَى﴾: فعل متعد بالهمزة إلى مفعول محذوف تقديره: أسرى الملائكة بعبدته، وهذا أفضل من أن يسند أسرى - وهو بمعنى سرى - إلى الله تعالى، إذ هو فعل يفيد الانتقال من مكان إلى مكان كمشى وجرى وأحضر وانتقل، فلا يحسن إسناد شيء من هذا إلى الله عز وجل ونحن نجد مندوحة. فإذا صرحت الشريعة بشيء من هذا النحو كقوله في الحديث "أتيت سعياء، وأتيت هرولة" حمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلص من التشبيه بالحوادث. وأسرى في هذه الآية تخرج فصيحة كما ذكرنا، ولا تحتاج إلى تجوز قلق في مثل هذا اللفظ.

وقال قوم من المفسرين: ﴿أَسْرَى﴾: فعل غير متعد، عداه هنا بحرف جر، تقول: سرى الرجل وأسرى إذ سار بالليل بمعنى واحد، لكن ابن عطية رحمه الله لم يسلم هذا لما يظهر له في اللفظ من جهة العقيدة، وهو أنه يوهم ثبوت الحيز والجهة والحركة لله عز وجل، وكل ذلك من صفات الحوادث.

وقوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَ﴾: هو محمد ﷺ، وعبر بذلك لما لمقام العبودية من الشرف، ولأنه أعظم صفات المخلوقين.

وقوله: ﴿لَيْلًا﴾: منصوب على الظرفية لأسرى. وتكثيره يفيد تقليل مدة الإسرائاء. قال فخر الدين الرازي رحمه الله: "فإن قيل: الإسرائاء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟ قلنا: أراد بقوله: ليلا بلفظ التكثير تقليل مدة الإسرائاء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التكثير فيه قد دل على معنى البعضية". [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 292/20]

وقوله: ﴿مِنَ الْمُشْعَبِ الْحَرَامِ﴾: اختلف في المراد بالمسجد الحرام في الآية على قولين:

القول الأول: قال أنس بن مالك: المسجد المحيط بالكعبة نفسها، ورجحه الطبري رحمه الله وقال: "هو الذي يعرف إذا ذكر هذا الاسم"، ويدل على ذلك ما روي عن مالك بن صعصعة رضي

الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: "بينما أنا في الحطيم، وربما قال: في الحجر، مضطجعا إذ أتاني آت.... " [صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج].

القول الثاني: قالت فرقة: المسجد الحرام مكة كلها، واستندوا إلى قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: 27] وعن سفيان الثوري أنه قال: أسري بالنبي عليه السلام من شعب أبي طالب. وروي عن أم هاني أنها قالت: كان رسول الله ﷺ ليلة الإسراء في بيتي.

وقوله سبحانه: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾، أي: مسجد بيت المقدس، وسماه ﴿الْأَقْصَا﴾، لأنه كان أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة في ذلك الوقت. ويحتمل أن يريد بـ ﴿الْأَقْصَا﴾ البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا البعد في ليلة.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي: الذي جعلنا حوله البركة وذلك من جهتين:

إحدهما: النبوة والشرائع والرسول الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه.

ثانيهما: النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خص الله الشام بها.

وقوله: ﴿لَنُرِيَنَّكَ مِنْ-أَيَّتِنَا﴾ أي: لنري محمدا بعينه آياتنا في السماوات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك مما رآه تلك الليلة من العجائب، ويحتمل أن يريد لنري محمدا للناس آية، أي: يكون النبي ﷺ آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع وتكون الرؤية على هذا رؤية قلب.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذا وعيد من الله لمشركي قريش الذين كذبوا محمدا ﷺ في أمر الإسراء، وهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك، أي: هو السميع لما تقولون البصير بأفعالكم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآية إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية منها:

- بيان أن معجزة الإسراء دليل من دلائل النبوة وعلامة من علامات صدق نبينا محمد ﷺ.
- بيان أن هذه المعجزة دليل على كمال قدرة الله عز وجل التي تتعلق بكل الممكنات إيجادا وإعداما، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن الإسراء بالرسول ﷺ في هذا الجزء

القليل من الليل مظهر وأثر من آثار القدرة الإلهية.

- إثبات معجزة الإسراء في كتاب الله عز وجل فيه رد لمطاعن المشركين الذين أنكروا هذه المعجزة، والمشككين في إمكانية وقوعها.
- تخصيص المسجد الحرام، وهو من بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والمسجد الأقصى، وهو مهبط الرسالات، بهذه المعجزة ابتداء وانتهاء، فيه تعظيم للمكانين المقدسين، ودليل على أن الرسالة المحمدية ما هي إلا امتداد للرسالات السابقة وتتميم لها.
- التذكير بنعم الله على رسوله ﷺ بالمعجزات، وعلى أهل المسجد الأقصى بالبركة حوله، وكل ذلك يدل على تفرد بتدبير الخلق، ويقتضي شكره، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به.

التقويم

- 1 - أعرف معجزة الإسراء وأبين أقوال العلماء في زمانها ومكانها.
- 2 - ما هي أدلة القول بأن الإسراء كان بنفس النبي ﷺ لا بشخصه وما هو رد الجمهور على هذا القول؟
- 3 - أستخلص من الآية الحكمة من معجزة الإسراء.
- 4 - ما معنى قوله تعالى في شأن المسجد الأقصى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾؟

الاستثمار

ناقش أبو حيان رحمه الله في تفسيره ابن عطية رحمه الله فيما ذهب إليه من تأويل لمعنى لفظ ﴿أَسْرَى﴾، فقال: "أَسْرَى بِمَعْنَى سَرَى وَلَيْسَتْ الْهَمْزَةُ فِيهِ لِلتَّعْدِيَةِ، وَعُدِّي بِالْبَاءِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَعْدِيَّتِهِ بِالْبَاءِ الْمُشَارَكَةُ فِي الْفِعْلِ، بَلِ الْمَعْنَى جَعَلَهُ يَسْرِي؛ لِأَنَّ السَّرَى يَدُلُّ عَلَى الْإِنْتِقَالِ كَمَشَى وَجَرَى، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿لَتَذْلَعَنَّ بِسْمِعِ لَعْنَةٍ﴾ [البقرة: 19]

أَي: لَأَذْهَبَ سَمْعَهُمْ، فَأَسْرَى وَسَرَى عَلَى هَذَا كَسَقَى وَأَسْقَى إِذَا كَانَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: مَعْنَاهُ سَرَى بِعَبْدِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: "وَيُظْهِرُ أَنَّ أَسْرَى مُعْدَاةٌ بِالْهَمْزَةِ إِلَى مَفْعُولٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَسْرَى الْمَلَائِكَةُ بِعَبْدِهِ؛ لِأَنَّهُ يُقْلِقُ أَنْ يُسْنَدَ أَسْرَى وَهُوَ بِمَعْنَى سَرَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ إِذْ هُوَ فِعْلٌ يُعْطَى النُّقْلَةَ كَمَشَى وَجَرَى وَأَحْضَرَ وَانْتَقَلَ، فَلَا يَحْسُنُ إِسْنَادُ شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَنَحْنُ نَجِدُ مَنُوحَةً، فَإِذَا صَرَّحَتْ الشَّرِيعَةُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا النَّحْوِ كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: "أَتَيْتُهُ سَعْيًا وَأَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً" حُمِلَ ذَلِكَ بِالتَّأْوِيلِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُخْلِصِ مِنْ نَفْيِ الْحَوَادِثِ، وَأَسْرَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَخْرُجُ فَصِيحَةً كَمَا ذَكَرْنَا وَلَا يُحْتَاجُ إِلَى تَجَوُّزِ قَلْقٍ فِي مِثْلِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، فَإِنَّهُ أَلْزَمُ لِلنُّقْلَةِ مِنْ أَتَيْتُهُ وَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ".

وَأِنَّمَا احتاج ابن عَطِيَّةَ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَى بِاعْتِقَادِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَسْرَى بِمَعْنَى سَرَى لَزِمَ مِنْ كَوْنِ الْبَاءِ لِلتَّعْدِيَةِ مُشَارَكَةُ الْفَاعِلِ لِلْمَفْعُولِ، وَهَذَا شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُبَرِّدُ، فَإِذَا قُلْتُ: قُمْتُ بِزَيْدٍ لَزِمَ مِنْهُ قِيَامُكَ وَقِيَامُ زَيْدٍ عِنْدَهُ، وَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ، التَّبَسُّتُ عِنْدَهُ بَاءُ التَّعْدِيَةِ بِبَاءِ الْحَالِ، فَبَاءُ الْحَالِ يَلْزَمُ فِيهِ الْمُشَارَكَةُ؛ إِذِ الْمَعْنَى: قُمْتُ مُلْتَبِسًا بِزَيْدٍ، وَبَاءُ التَّعْدِيَةِ مُرَادِفَةٌ لِلْهَمْزَةِ، فَقُمْتُ بِزَيْدٍ وَالْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ، كَقَوْلِكَ أَقَمْتُ زَيْدًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِقَامَتِكَ أَنْ تَقُومَ أَنْتَ". [البحر المحيط، لأبي حيان: 7/7]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أوضح قول ابن عطية في معنى أسرى، وتعليله لما ذهب إليه.

2 - كيف رد عليه أبو حيان رحمه الله؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 2 - 4 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَكَيْلًا - وَفَضِيئًا - لَتَقْسِدَنَّ - وَلَتَعْلَشَنَّ.

2 - أبحث في معاني (قضى) في اللغة، وأحدد المعنى المناسب للآية سياقيا وعقديا.

3 - أعرب ما يأتي في سياقه القرآني: ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْ دُونِ وَكَيْلًا ۚ ذُرِّيَّةٌ مِمَّنْ خَلَقْنَا مِنْ نُوحٍ ۖ﴾.